مركز أفكار للدراسات والأبحاث
Afkaar Center for Studies and Research

مراجعة كتاب

الإبداع الاصطلاحي عند طه عبد الرحمن
دراسة دلالية تداولية

لـ د. إبراهيم أمغار ـ رحمه الله ـ

مراجعة: د.سوسن العتيبي

مركز أفكار للدراسات والأبحاث

Afkaar Center for Studies and Research

https//Afkaar.center

afkaarcenter@gmail.com

facebook.com/afkaarcenter

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على خير خلق الله

مراجعة كتاب: "الإبداع الاصطلاحي عند طه عبد الرحمن؛ دراسة دلالية تداولية"

لـ د. إبراهيم أمغار -رحمه الله-

مراجعة الكتاب:

وضعت الباحثة المراجعة على ثلاثة محاور، هي على التوالي: السمات العلمية العامة للدراسة، والتعريف بمحتوى الدراسة، والقيمة العلمية للدراسة والتوصيات.

سبب المراجعة:

المشاركة في لقاء: **قراءة في المنجز البحثي للدكتور أمغار إبراهيم (الحلقة** الأولى)، بتاريخ ١٦ يوليو ٢٠٢٢م، من تنظيم مركز أفكار للدراسات والأبحاث.

محاور المراجعة:

أولا: السمات العلمية العامة للدراسة:

مارس المؤلف طرق بحثية عامة هي: الوصف، التحليل، الاستقراء، النقد، التركيب، الاستنباط، وتفاصيلها في فرعين:

أ. الشكل العلمي العام:

هو الشكل الفني الذي تلتزم به عموم الدراسات الأكاديمية، إضافة لبعض الأخلاقيات البحثية. فقد تميّز البحث بالتالي:

1. تبيين سبب اختيار "الإبداع الإصلاحي" عوض المصطلحات المركبة الأخرى، نحو: التوليد الاصطلاحي، وغيره، بتوجيهات علميّة جيدة جداً.
2. الأمانة العلمية البيّنة.
3. الدقة الوصفية، والاقتصار على المراد دون الاسترسال، ووضوح العبارة.
4. الشخصية العلمية البارزة من خلال الاجتهادات والتصويبات والتصحيحات والتوجيهات المنثورة في ثنايا الدراسة.
5. التقسيم العلمي لفصول الدراسة، انطلاقا من تبيين مفهوم الإبداع الاصطلاحي عند طه عبد الرحمن، ثم جهازه النظري، ثم ممارسته العملية من خلال الآليات المتبوعة بالأمثلة، وموازاة هذا التقسيم بخلاصة البحث في الخاتمة، حيث يقابل كل فصل نتيجة بحثية في الخاتمة؛ وهذه طريقة علمية أكاديمية بامتياز.
6. كتابة البحث وفق المنهجية العلمية الغالبة، غير أنه أسقط بعض الاعتبارات:

- **الدراسات السابقة:** أسقط "الدراسات السابقة" في التقديم، غير أنّه استعملها في كتابه، مثل دراسة "محمد المصطفى عزام" بنفس العنوان: "الإبداع الاصطلاحي عند طه عبد الرحمن". فإما أن يكون إسقاطاً خُلقياً؛ لا يريد مضاهاة كتاب الدكتور، وإما أن يكون لغرض الله أعلم به. ومكمن الضعف في هذا الإسقاط: تشوّف القارئ لمعرفة ما في دراسة "محمد المصطفى عزام" من جديد ومن ثغرات، حتى يستدعي سدّها بهذه الدراسة.
- **إشكالية الدراسة:** لم يصغها في قالب إشكالية أكاديمي -كما هو معهود عندنا-، وإنما أشار إلى نقاط الإشكالية والتي تدور حول "**سؤال الإبداع الاصطلاحي**"، فذيّل آخر نقاطها بقوله: "الإشكالية الرئيسية... هي دراسة الآليات التي تمكّن طه عبد الرحمن من إنشاء مصطلحات تتسم بالقوة

الدلالية، والتوافق مع المجال التداولي العربي". ومعلوم أن الإشكالية جمع لاستشكالات الأسئلة التي تقسَّمُ الفصول للإجابة عنها، بواقع فصل لكل استشكال، والخاتمة نتائج الإجابة عنها، وقد أعمل المؤلّف تقسيمات الفصول وفق ذلك، وكذا الخاتمة، غير أنه ألغى الإشكالية وما تفرّع عنها من أسئلة البحث، وهذا الإلغاء بيّن أنه إلغاء واعٍ لسبب مجهول لم يذكره.

- **المقدمة:** وقد كتبت المقدّمة بطريقة لا تلتزم بالطريقة الأكاديمية المعهودة تماماً، وربما كان مردّ ذلك للمرتبة العلمية التي قدّمت الدراسة من أجل تحصيلها.

ب. السمات العلمية من خلال المحتوى:

- الإبداع في استظهار وتتبع طرق إنشاء طه عبد الرحمن للمصطلحات، وتحليل أطوار تغيرها، واستعمالاتها.
- المقارنة بين المصطلحات المستعملة قبل طه عبد الرحمن، والسمات التي أضافها إليها طه عبد الرحمن، أو حذفها منها، أو استعمل بعض ما وضعت له، تحت معيار صلاحيتها الموافق للمجال التداولي.
- الممارسة النقدية المشبّعة بالأخلاقيات العلمية والاحترام، وستأتي عند نقده لطرق طه عبد الرحمن في الفصل الثالث.
- **الجانب الخفي المؤثر في نمط الدراسة:** يظهر أن أمغار -رحمه الله- قد قرأ كتب طه عبد الرحمن قراءة تاريخية، أو استحضر القراءة التاريخية، ودليل ذلك أنه تتبع مفهوم "المجال التداولي"، وكيف كان في الممارسة الاصطلاحية عند طه عبد الرحمن بعنصريه "التداول" و"المجال"، مستحضراً ما كتبه في "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام"١٩٨٦م، وقد خدمت القراءة التسلسلية أو التاريخية أمغار -رحمه الله- لتتبع طريقة تفكير طه عبد الرحمن عند وضع المصطلح، فبيّن نشأة

مصطلح "المجال التداولي"، والذي يبدو لجل الناس أنه مصطلح مكتمل منذ ظهوره في "تجديد المنهج في تقويم التراث"١٩٩٣م، لا أنه مصطلح اكتمل بعد أن كانت بداياته في مؤلفات طه عبد الرحمن السابقة على "تجديد المنهج في تقويم التراث".

- **خلاصة الدراسة:** تبيين الجهاز النظري للإبداع الاصطلاحي -بشقيّه النقدي لدفع ما يعيق الإنتاج، والإنتاجي- عند طه عبد الرحمن، مع تبيين آليات الممارسة العمليّة لعمليتي الإبداع والنقد. واقتران الإبداع بثلاثية: الإنتاجيّة والأصالة والتحتيّة، ارتباطاً بالمجال التداولي. وهذه الخلاصة تستبطن الرد على دعوى: هل دعى طه عبد الرحمن إلى الإبداع الاصطلاحي ومارسه؟ أم اكتفى بالدعوة؟

ثانيا: المحتوى العام للدراسة

المعلومات العامة عن الكتاب:

ناشر الكتاب دار العرفان للطباعة والنشر- أكادير، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م. ويقع في ١١٩ صفحة. وقسّمه مؤلفه إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة. أما الفصول، فالفصل الأوّل: مفهوم الإبداع الاصطلاحي عند طه عبد الرحمن، وتحته: من التقليد إلى الإبداع، والإبداع الاصطلاحي والمجال التداولي؛ والفصل الثاني: خصوصية النظر الاصطلاحي، وتحته: النظر الاصطلاحي عند طه عبد الرحمن، ومبادئ الإبداع الاصطلاحي مبادئ دلالية، ومبادئ تداولية، واعتبارات نظرية؛ والفصل الثالث: خصوصية الممارسة الاصطلاحية، وتحته: التأثيل الاشتقاقي، المقابلة، الاحتقال، المجاز، التفريق، الإبدال، الإضافة، الحذف، القلب، التصنيف، التوظيف.

التعريف بمحتوى الكتاب:

أصل الكتاب دراسة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الإجازة في اللغة العربية وآدابها، من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بجامعة ابن زهر بأكادير، عام ٢٠٠١م، تحت إشراف: د. أحمد كروم، وناقشها: د. المهدي السعيدي.

أصالة الموضوع: فرادة التناول في زمن المؤلّف -كما ذكر-، ولم يستعرض الدراسات السابقة التي أشار إليها أثناء الدراسة، نحو دراسة محمد المصطفى عزام. فالأصالة مستقاة من حديث المؤلّف نفسه، لا من تحقق الباحثة.

وموضوع الدراسة: النظر الاصطلاحي والممارسة الاصطلاحية عند طه عبد الرحمن من منظور لغوي، منطلقه التحليل الدلالي والتداولي للمصطلحات؛ التي ولّدها ووظفها طه عبد الرحمن في دراساته، في مجال الفلسفة والفكر.

إشكالية الدراسة:

نقّط إشارات الإشكالية في ثلاث نقاط، هي -إجمالاً-:

- مركزية فكرة الإبداع في مشروع طه عبد الرحمن، تنظيراً وممارسة.
- والكشف عن معالم نظر طه في النظر والممارسة الاصطلاحيين.
- والمنهج الصارم لمظهر الإبداع الاصطلاحي عند طه.

وذيّل آخر نقاطها بقوله: "الإشكالية الرئيسية... هي دراسة الآليات التي تمكّن طه عبد الرحمن من إنشاء مصطلحات تتسم بالقوة الدلالية، والتوافق مع المجال التداولي العربي".

منهج البحث العام:

1) منهج النظر: استعمال الطرق المفضية للكشف عن المبادئ والمسلمات المتحكمة في تصوّر طه عبد الرحمن: "تتبع المقولات والمبادئ المتحكمة في التصور النظري للمصطلح عند طه عبد الرحمن".

2) منهج الممارسة والعمل: استعمال الطرق المفضية للكشف عن الطرائق والمنهجيات التي عمل بها ووفقها طه عبد الرحمن: "اكتشاف جملة الطرق والأساليب والأدوات التي يتوسل بها طه عبد الرحمن في إبداع المصطلحات"[1].

تقسيم البحث:

المقدمة: وفيها ذكر لأصل الدراسة، وسبب اختيار الموضوع، وإشارة إلى الإشكالية، وإجمال للمنهج، وتقسيم عام للبحث.

الفصل الأوّل: تصوير لقضية الإبداع عند طه عبد الرحمن عموماً، ومنها الإبداع الاصطلاحي خصوصاً، وسبب اختيار هذا المصطلح.

بدأ الفصل بـ "مفهوم الإبداع الاصطلاحي عند طه عبد الرحمن"، مبيناً الاتفاق بين المفكرين على ضرورة الإبداع، وإزالة القلق المعرفي الاصطلاحي، وامتياز طه عبد الرحمن **باستثمار القوة الدلالية والتداولية للمجال التداولي لإبداع المصطلحات، ونقد المصطلحات التي تشلّ وظائف هذا المجال.** وقد بين أن هذه الدعوة للإبداع من خلال المجال التداولي (التراث بشكل خاص) قد نشطت منذ الأربعينات مع مدرسة مصطفى عبد الرازق وغيره، إلا أن طه عبد الرحمن فاقهم بنقد الفلسفة الإسلامية من جهة الآليات والشرائط المنطقية، لا من جهة المضامين فقط. كما أن طه عبد الرحمن نظر للفكر المعاصر ووجد آفة تقليد المحدثين، فنزع لنقد الفكر المقلّد، وتبيين مواطن الانفصال عن المجال التداولي؛ وهي حواجز تشلّ الإبداع لانفصالها عن المجال

[1] ص ٩.

التداولي، فدعا للإبداع نقداً وممارسة، وطرح مشروع حداثة إسلامية، وقرن الإبداع بـ "أوصاف ثلاثة مترادفة هي: الإنتاجية والأصالة والتحتية"[2].

وتحت "**الإبداع الاصطلاحي والمجال التداولي**" اختار المؤلف تعريف "المجال التداولي" عند طه عبد الرحمن، بالمقتضيات المعرفية والعلمية والمنهجية، وهو تعريف يحتاج لإعادة نظر، واستبداله بأوضح منه في كتابات طه عبد الرحمن. واعتبر أن "الإبداع الاصطلاحي" عند طه عبد الرحمن **إحداث واستحداث** لآليات وكيفيات منطقية ولغوية تتصل بالمجال التداولي، وتثمر فيه وتنهضه، بحيث: **لا يستقل الإبداع الاصطلاحي عن المجال التداولي**، حتى يتواشج مع خطابه وأصوله؛ لأنه متعلق بالآليات المحسوسة أكثر من ارتباطه بالمستوى الفكري المجرد، كما أن **معيار صلاحية الإبداع الاصطلاحي** هو إجرائيته التداولية المفيدة، والمشغلة لأصول المجال التداولي، ربطا بين النظر والاستعمال.

وبيّن استعمال مركّب "الإبداع الاصطلاحي" وتقديمه على "التوليد الاصطلاحي" و"الوضع الاصطلاحي"، بسبب جامع بين المقدّم عليهما، وهو: الابتذال، وأسبقية الاستعمال لهما في التراث والفكر المعاصر، كما أن "الإبداع الاصطلاحي" جامع لميزاتهما، ودافع لسلبياتهما، وجالب لما يمتاز به عليهما من معاني: التأصيل والإحداث والإفادة والإنتاج.

الفصل الثاني: خصوصية النظر الاصطلاحي

فصل لـ "استخلاص الجهاز النظري الذي يصدر عنه طه عبد الرحمن". فتحت "النظر الاصطلاحي عند طه عبد الرحمن" أظهر الفرق بين عناية القدماء بـ "المصطلح" في المجال التداولي الإسلامي، وعناية طه عبد الرحمن به؛ ذلك أن عناية الـقدماء **انصبّت**

[2] ص ١٥.

على التحديد والتعريف استثماراً للأنقال المتوفرة لديهم، دون الحاجة للكشف عن الآليات ومكامن الإبداع والامتياز في زمنهم؛ لتفوقهم فلم يستحضروا الآخر المزاحم الغالب. **في حين مدد طه عبد الرحمن البعد الزمني، وفتّش عن الفروق المصطلحية والمفهوماتية، مفرّقاً بين "الطريقة الجماعية" و"الطريقة الفردية" لوضع المصطلح أو المفهوم، والالتزام بالمصطلح الأول ما دام منتجاً وصحيحاً وسليماً**، مع استحضار أثر المزاحم الغالب. ويعمد أيضاً إلى إبراز طريقة الانتقال إلى اللفظ التداولي من الدلالة اللغوية إلى الدلالة الاصطلاحية، فطريقة الانتقال من داخل لغة المجال التداولي يسمّيها "وضعاً داخلياً"، أما طريقة الانتقال من مجال المنقول المترجم فيسميها "وضعاً خارجياً".

تمييز "المصطلحات" في المجال المعرفي وعند طه عبد الرحمن:

عُرفت اعتبارات المصطلح في دراسات المجال المعرفي العام من جهتين:

- اعتبار "القيمة" داخل النظام المفهومي الذي يخلع عليه قيمته.
- واعتبار "الدلالة" من حيث طبيعة العلاقة المرجعية.

أما طه عبد الرحمن فيبدع مصطلحاته من خلال **التمييز بين ثلاث مستويات تكوّنه**، وهي:

1) المكوّن الأول: المستوى المُعجمي أو العُرفي: فالمصطلح فيه علامة لها مدلول متعارف عليه، وفق لغة طبيعية.
2) المكوّن الثاني: المستوى الدَّلالي: يتضمّن المستوى المعجمي، ويزيد عليه بـ "الدلالة"، فالمصطلح فيه يعتبر "دلالة"، فيعالج من جهة علاقته بالمفهوم الذي يدل عليه.
3) المكوّن الثالث: المستوى التداولي: يتضمّن المستويين السابقين، ويزيد على "المستوى الدلالي" بدخول "الناطق"، فالمصطلح فيه من حيث هو "محل للتأويل

من قبل المتلقي، وتضبط فيه العلاقات القائمة بين المصطلح ومجاله التداولي"[3].

وهذه المكوّنات ما لم تتظافر لتكوين المصطلح فسيقع المتلقي في نفور؛ لاختلال التبليغ عند تغييب أحد المستويات الثلاث، غير أن "المستوى التداولي" يختص بأنه مبعث التجديد والإبداع، وعند إهماله وتجاهله يقع التقليد والجمود، وذلك لارتباطه بالأصول الثلاثة للمجال التداولي لإنتاج الخطاب وفهمه بين الجائلين فيه، كما أن تراتبية المستويات تجعل المستوى اللاحق مستوعباً لما قبله.

ويرى الباحث أن طه عبد الرحمن لا يميز عموما بين "المفهوم" و"المصطلح" الفلسفيين، خلاف لفظ "المفهوم" و"المدلول الاصطلاحي"؛ إذ المفهوم مُدرك تصوري معنوي ذهني محدد من منطلق مدلول اصطلاحي متفق عليه. وهذه النظرة من مميزات طه عبد الرحمن؛ الذي تتحكم خلفيته الفلسفية في نظرته الاصطلاحية، ويعتبرها عند النظر إلى غيره من الفلاسفة، فـ"للفيلسوف تقنية خاصة في الاصطلاح على مفاهيمه والاشتغال بها، تقنية لا بدّ من الإحاطة بدقائق آلياتها لكل من أراد أن يقتدر على إنشاء مفاهيمه واستثمارها من غير ما نقل ولا تقليد"[4].

والمحددات الضابطة لعناصر المفهوم، ومستويات العلاقة بينها، هي الجواب الذي خصص له **"فقه الفلسفة: القول الفلسفي"**، ومجمله: ابتداءً ميّز بين مستويين لغويين: العبارة، والإشارة. فالجانب العباري يشترك فيه الفلاسفة على اختلاف لغاتهم وأزمنتهم، وكلما كثر الجانب العباري مال القول إلى الجانب الاصطلاحي، أي: كلما كان المفهوم أكثر عبارية وأقل إشارية انضبط بالصناعية الاصطلاحية كالمفاهيم العلمية، وهذا الجانب هو الذي يورّث القول الفلسفي العمومية والشمول. "ونتيجة ذلك أن يكون الاصطلاح عند طه متعلقاً باللفظ دون المعنى، ومرتبطاً بالدلالة المتواضعة

---

[3] ص ٢٦.

[4] ص ٢٨.

والمتعارفة بين المتكلمين، وإن كان يظهر لنا أن هذا الفصل إجرائي فقط"[5]. وكلما كان المفهوم أكثر إشارية وأقل عبارية طلب أسباب الانفهام التداولي والتوسل بها، كالمفاهيم الأدبية.

وهذه الغفلة عن موقع المفهوم الفلسفي بين الإشارة والعبارة هي سببُ **"أزمة المصطلح"** لدى المؤلف؛ إذ الجانب العباري الظاهر من هذا المفهوم فيه العمومية، غير أنه يمتح من المعنى الذي يمدّه به الجانب الإشاري المعبّرِ عن خصوصية الفيلسوف ومجاله التداولي. فـ "الدلالة الاصطلاحية متعلقة بالألفاظ تعلقاً مباشراً، من غير ضرورة للتوسط، أما الدلالة الإضمارية فتحتاج إلى تتبع القصد التكلمي للمتكلم، وهو ما يفرض الالتجاء إلى مجاله التداولي، لأن الجانب الإشاري الذي يتأثر به واضع المصطلح أو مستعمله، يتعلق بالمضمرات، وهي معانٍ غير مصرح بها إما احترازاً عن التطويل، أو قصداً إلى الإيجاز، أو لعلم المخاطب بالمضمر، أو قصدا إلى التدليس"[6]. وهذه النقطة قلّ من تنبّه لها، وهي بالتحديد محل **"أزمة المصطلح"**. وامتاز طه بـ "الربط بين إبداع المفاهيم والتجربة الذاتية الخاصة لواضعها".

الجانب الإشاري يمد الجانب العباري بالمعاني التداولية، والبحث عن هذا الجانب الإشاري هو "التأثيل"، بربط المصطلح بأصوله. وقد عبّر عنه بـ "التأثيل" استثماراً للقوة الدلالية والتداولية لهذا اللفظ، فـ "التأثيل كالتأصيل يدل على الوصل بالأصل، إلا أن طه فضّله على غيره لدلالته أيضاً على معاني الإكثار والتنمية، ولكثرة استعمال "التأصيل" حتى غداً مبتذلاً"[7]. و"الأصل في إبداع المفهوم الفلسفي، عند طه عبد

---

[5] ص ٣٠.

[6] ص ٣٣.

[7] ص ٣٣.

الرحمن، هو التوسّل بالمضمون الإشاري في تقرير المضمون العباري، إلا أن يدل الدليل على خلاف ذلك"[8].

وهذا التأثيل على قسمين عند طه: التأثيل المضموني: عن "الدلالات المضمرة التي تفيد في الاستشكال الفلسفي للمفهوم، وتتعلق بالجانب المعرفي والمتداول للقول"[9]، وتحته ثلاثة أقسام: التأثيل اللغوي، والتأثيل الاستعمالي، والتأثيل النقلي. والتأثيل النقلي هو محلّ الإلباس في القول الفلسفي، إذ هو نقل للمفهوم من دائرة المحسوس إلى دائرة المعقول، وستر الأصول الحسية له ليحظى بمرتبة التجريد، وهذه من متناقضات الفلاسفة. والقسم الثاني: التأثيل البنيوي، ويعتني بـ "البنيات المضمرة للمفهوم التي تفيد في الاستدلال المنطقي به وعليه، وهو أقسام": التأثيل الاشتقاقي، التأثيل التقابلي، التأثيل الاحتقالي (أو الحقلي).

وإلى هنا أقام بناء الجهاز النظري، الذي نظر طه عبد الرحمن من خلاله إلى المصطلح نقداً وإبداعاً، تعريفاً بمستويات البناء، ومحددات البناء بين العبارة والإشارة، وموجهات هذا البناء بالمجال التداولي العربي، ومن ثم انتقل إلى المبادئ العامة لهذا الجهاز، وبها يختتم تشكيل هذا الجهاز النظري.

مبادئ الإبداع الاصطلاحي:

تحت "مبادئ الإبداع الاصطلاحي" فرّع المبادئ على فرعين: مبادئ دلالية، ومبادئ تداولية. أما المبادئ الدلالية فمصدرها إما من إشارة طه عبد الرحمن نفسه، أو من استنتاج إبراهيم أمغار، مع تنبيهه على أن الفروق بين ما هو دلالي وما هو تداولي قد تتلاشى أحياناً.

---

[8] ص ٣٨.

[9] ص ٣٤.

وهذه المبادئ الدلالية هي:

1) مبدأ الفصاحة: لرفع القلق التبليغي عند الدلالة على مفهوم محدد.
2) مبدأ الإحكام: "فالمصطلح يفيد معنى مشتركاً وقريباً لا واسطة فيه، ومستقرا لا تغيّر معه، ويتضمن عنصرين دلاليين: "التواطؤ" و"القرب"، وعنصر تداولي ثالث هو "الاستقرار"."
3) مبدأ التواطؤ: من ضمن مبدأ الإحكام، للدلالة على وحدة المصطلح الدلالية.
4) مبدأ القرب الدلالي: للدلالة على "سهولة المأخذ... والوصول إلى الشيء من غير واسطة".
5) مبدأ الانفهام: "مقتضاه تحقق فعل الإفهام في ذهن المتلقي متى اقترن المفهوم بصيغته اللفظية، فلا يصير في حاجة إلى واسطة تدله على مفهوم المصطلح... وحصول المفهوم من اللفظ، مقترن بمبدأ تداولي هو "الانتساب"."[10]
6) مبدأ الاتصال الدلالي: "تعلق السمات الدلالية للمصطلح بعضها ببعض وانتظامها في بنى مترابطة في ما بينها ومتراكبة بعضها على بعض، حتى إذا ما دخل تغيير على إحدى السمات الدلالية تداعت له السمات الأخرى بما يتناسب ويتكامل مع هذا التغيير"[11]
7) مبدأ الانتساق: "للدلالة على قبول اللفظ الدخول في علاقات نسقية مع صنف معين من الألفاظ"[12].

---

[10] ص ٤٢.
[11] ص ٤٣.
[12] ص ٤٤.

أما المبادئ التداولية؛ فهي:

"جملة من المبادئ اللغوية والعقدية والمعرفية" لإنشاء واستثمار المصطلحات، فهي التي توثق الصلة بين المتلفظين والمتلقين لهذه المصطلحات، إن مصطلحات من وضع داخلي أو من وضع خارجي. وقد حدد محمد المصطفى عزام ثلاثة شروط لها:

- أن يكون للمصطلح المنقول إضافة معنوية جديدة،
- و"أن تتماثل الحقول الدلالية بين اللفظين المترجم والمترجم به،
- وأن يتقارب المجالان التداوليان للمصطلحين"[13].

فإن أهملت هذه الشروط التداولية، وقعت آفات منها: ورود صيغ غير مألوفة، والالتباس الدلالي، والمعاني غير المعتادة، والتهويل من الألفاظ.

أهم المبادئ التداولية التي جمعها واستنبطها إبراهيم أمغار من مصنفات طه عبد الرحمن:

أ. مبدأ الانتساب: "يشكل هذا المبدأ مع مبدأ "الانفهام" الدلالي حجر الرحى في النظرية الاصطلاحية عند طه عبد الرحمن"[14]. ليدل على انتساب المصطلح إلى المجال التداولي ليفهمه المتلقي، وهو عند القدماء: "حمل الخطاب على معهود العرب في التخاطب".

ب. مبدأ الاستقرار: يتعلق بالجانب العباري للمفهوم، ويتناغم مع المبدأين الدلاليين: التواطؤ والقرب.

ت. مبدأ القرب التداولي: للدلالة على قرب المصطلح من ذهن المتلقي، لا لخاصية داخلية في المصطلح كـ "القرب الدلالي"، وإنما للصلة بالمجال التداولي ومعارفه.

---

[13] ص ٤٧.

[14] ص ٣٠.

ث. مبدأ التراكم: فالمصطلح تشكّل من طبقات متراكبة هي: طبقة المدلولات الاشتقاقية، وطبقة المدلولات اللغوية، وطبقة المدلولات الاصطلاحية. فلا بدّ من مراعاة هذه الطبقات عند استعمال المصطلح لدلالة جديدة.

ج. مبدأ التفعيل: وهو تأسيس المدلول الاصطلاحي على المدلول اللغوي؛ ليستمد منه "الأسباب الدلالية والاستدلالية التي تدخله في سياق الممارسة التداولية، ويزوده برصيد عملي راسخ"[15] فينهض للعمل بلا عائق.

وبيّن من المقارنة الأولية بين المبادئ الدلالية والمبادئ التداولية، أن المبادئ التداولية تحتوي على الأقل مبدأ دلاليا واحداً، فهي مزدوجة الدلالة مقارنة بالمبادئ الدلالية.

اعتبارات نظرية:

١: الخصوصية الذاتية والتداولية:

هذا الاعتبار يبين أن طه عبد الرحمن لم يهتم بإحصاء المصطلحات، ولا تصنيفها، ولا رصد تطورها التاريخي "الترمنولوجي"، ولم يأخذ مناهجه من غيره، ولا جمع بين المناهج المتعددة، بل استفاد من ذلك كله، واستنبط منهجه من خصوصية تكوينه العلمي وخصوصية مجاله التداولي العربي، بجهد وابتكار ذاتيين. وأهم ما يميزه "انتباهه إلى المستوى التداولي في إنتاج المصطلحات وإبداع المفاهيم، والربط بين هذا المستوى والمستويين المعجمي والدلالي"[16]، ومن هنا تمكن من وضع جهازه النظري المتين الخاص.

٢: الإنتاجية الاصطلاحية:

---

[15] ص ٤٩.

[16] ص ٥١.

والقوة الاصطلاحية عند طه عبد الرحمن ترتبط بفعالية المصطلح الإنتاجية المؤثرة في المتلقي، التي تنهضه للعمل. مثل مصطلح "التزكية"، الذي استعمله في الجانب الاقتصادي ليجمع بين الجانبين: المادي والمعنوي، مع أصالة المعنوي في توجيه المادي.

٣: امتياز التوسع الدلالي:

التوسع الدلالي للمصطلح ليس مشكلة عند طه عبد الرحمن كما هي عند غيره، بل يحتفظ بسعته الدلالية، ويعتبرها ميزة، ويعتبر اجتماع الدلالات من ميزة الفكر الإسلامي العربي، كما بينها مع مصطلح "العقل". وعدم اعتبار "التوسع الدلالي" مشكلة عند طه عبد الرحمن، يرجع لسببين -بحسب أمغار-:

1. إن الباحث يضع مصطلحه مبيناً أوصافه الإجرائية، ومستعملاً إياه وفق ضوابطه وتحديداته؛ وهذه الممارسة سليمة صحيحة.
2. اعتبار الجانبين: العباري والإشاري؛ للمصطلح، والعلاقة بينهما تنتج تعدد السمات الدلالية للمصطلح.

الفصل الثالث: خصوصية الممارسة الاصطلاحية

وفيه إبراز خصوصية التنظير الاصطلاحي لطه عبد الرحمن، بين النقد والإبداع.

النقد:

كان اندفاعه الأول لنقد الممارسة الاصطلاحية العربية عند القدماء والمحدثين لرفع آفة التقليد، وترسيخ فضيلة الاجتهاد. مميزاً بين طورين في الممارسة الاصطلاحية:

1) طور استهلاك المصطلح الأجنبي (المنقول)
2) طور إنتاج المصطلح الأصلي (المأصول)

وبيّن الشروط المطلوبة لإبداع المصطلحات، وهي:

1. "العمل بأحدث الضوابط والشروط النظرية والمنهجية في وضع المصطلح العلمي.

2. استثمار الإمكانات التعبيرية والتبليغية التي تختص بها اللغة العربية.
3. مراعاة التوجهات العملية للتراث الإسلامي العربي"[17].

ونقده يتجه لتبيين الخلل من خلال الإخلال بأحد هذه الشروط.

الإبداع:

قدرته على توليد المصطلحات، والانصراف عن تقليد مصطلحات غيره والاستدلال بها، وهي طريقة فرديّة، ويضيف آليات جديدة لوضع المصطلح، منها:

أ. التأثيل الاشتقاقي: وهو "الاستدلال في بيان مدلوله [أي المفهوم] الاصطلاحي إلى المضمرات اللازمة عن صيغته الصرفية، بما يجعله مستوفياً لشرط التداول اللغوي للمشتغلين به وينمي قوته الاستدلالية على مقتضى التشقيق"[18]. ولازم هذا القول "تناظر الصيغ الصرفية لمصطلح ما مع المدلول الذي يحمله"[19].

مثل:

- من جهة النقد: مصطلح "الموجود"، الذي أهمل الدلالة الاشتقاقية، واستعمله الفلاسفة استعمالاً اشتقاقياً خاطئاً، منهم: الفارابي وابن سينا وابن رشد.
- من جهة الإبداع: مصطلح "المقابلة"، مستثمراً صيغة المفاعلة الدالة على التفاعل.

وبعد أن سرد المؤلف عدة آليات إبداعية لدى طه عبد الرحمن، بيّن أن هناك ما استعمله طه عبد الرحمن خلاف ما استنّه لنفسه من انضباط، نحو:

---

[17] ص ٥٩.

[18] ص ٦٤.

[19] ص ٦٥.

- المزاوجة بين صيغتي "التفاعل" و"المفاعلة" في مصطلحي: "التجانس" و"المجانسة"، للدلالة على الدخول تحت جنس واحد، وهذا تضييق دلالي يفاضل بين المعاني.
- استعمال صيغة غير مألوفة في التراث، نحو "الحداثوية" للدلالة على مقلدة الحداثة الغربية.

وقد برزت لدى طه بعض الطرق:

- تعذر تعريب المصطلحات الأجنبية بنفسه، بما يتناسب مع الناطق العربي، واللفظ المعرّب "التداوليات" جاء في سياق التوضيح، كذا مقترح "الفكرانية".
- ميل طه عبد الرحمن إلى بناء بعض المصطلحات على صيغة الجمع، نحو: التداوليات. وتوجيه أمغار: أن هذا الميل متوجه إلى المصطلحات الدالة على تشعب هذه العلم إلى علوم، كما أن لها شرعية تكثير الفائدة وتكوثر المعاني.

ب. المقابلة:

استوحى هذه الآلية من التراث البلاغي القديم، غير أنه لم يعدها ضمن المحسنات البديعية فتنحصر وظيفتها في تزيين الكلام، بل "نقلها إلى مرتبة الآلية المنتجة في إبداع المفاهيم والمصطلحات، وأضفى عليها أبعاداً استدلالية يتم توفيرها عن طريق المعلومات الضمنية التي لا يقررها الخطاب مباشرة، وإنما يولدها المتلقي، ويستعين بها لاستيعاب دلالة المصطلح وربطه بحقل مفهومي من المفاهيم المتوافقة معه أو المخالفة له"[20]. كما أن اللغة العربية بذاتها "تتوفر على بنية لسانية تقابلية، تفرض الانتباه إلى هذه الآلية، إذ إنها من أغنى اللغات بالمترادفات والمشتركات اللفظية"[21].

---

[20] ص ٨٨.

[21] ص ٨٦.

هي آلية لها وجه "الموافقة" ووجه "المخالفة"، على النحو التالي:

1. المقابلة بمعنى الموافقة: مقابلة الشيء بشبيهه، ولها صورتان:

- الصورة المعجمية: كمصطلح "الربط" و"الكف" و"الضبط"؛ للدلالة على إدراك القلب للعلاقة بين معلومين.
- الصورة التركيبية: "الجمع بين المصطلح ولفظ آخر يحمل المعنى نفسه مع زيادة قيود تداولية"، ولم يبدع طه عبد الرحمن مصطلحا وفقها، غير أنه قدّم أمثلة لمصطلحات فلاسفة الإسلام، نحو: الشهوة والهوى، الشجاعة والحلم.

2. المقابلة بمعنى المخالفة: مقابلة المعنى بضده، ولها صورتان:

- الصورة المعجمية: ذكر المصطلح والألفاظ المخالفة له في حقله الدلالي، نحو: التحصيل مقابل التأصيل، والتقريب مقابل التبعيد.
- الصورة التركيبية: "الجمع بين المصطلح ولفظ آخر مستمد من المادة الاشتقاقية نفسها مع اختلاف في الصوائت"[22]. نحو: الخُلق والخَلْق.

ت. الاحتقال:

هو "علاقة بين المفاهيم"، ومن "حيث هو آلية تداولية، هو تواشج المصطلح بعلاقات صورية واستدلالية مع مصطلحات أخرى يشكل معها نطاقاً مفهوميا"[23]، وهي التي عبّر عنها محمد المصطفى عزام بـ "**الشبكة المفهومية**".

كيفية استثمار هذه الآلية عند طه عبد الرحمن:

---

[22] ص ٨٤.

[23] ص ٨٧.

يستفاد منها بالاستفهام، نحو: "ما وجود هذا المصطلح؟ وما عناصره؟ وما صنفه؟ وما أقسامه؟ وما أثره؟ وما منفعته؟ وما لواحقه؟ وما أشباهه؟ وما ونظائره؟ وما أدلته؟ وما الاعتراضات عليه؟..."[24].

مثل:

- مفهوم العقل: في الممارسة الفلسفية، ورده إلى حقله المفهومي ومصطلحاته: الجوهر، الحس، القلب، الخُلُق، الشرع، الوحي، الإيمان.

ث. المجاز:

من تعريف المجاز واستعماله عند طه عبد الرحمن، فـ "المجاز داخل ضمن الجانب الإشاري من المفهوم، إلا أن ذلك لا يفيد وضع الدلالة المجازية في رتبة مقابلة للدلالة الحقيقية"[25]، فتناول طه عبد الرحمن له من حيث الجانب المضمر من المفهوم، ولا يذكره من حيث أنه آلية لإبداع المصطلحات، كما هو المجاز في الجانب اللغوي المعلوم. ومرد استعمال طه عبد الرحمن لهذه الآلية: "يرجع إلى أن الاستعارية خاصية من خواص الخطاب الطبيعي، ومن ثم يتلازم المعنيان الحقيقي والمجازي في التعبير أو يتعاندان فيه، ولا يشترط في المجاز مطابقة الدلالة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي مطابقة تامة، ويكتفى في الوضع الاصطلاحي المعاصر بأي قرينة بينهما"[26]. والقرينة "تتحدد بعلاقة المشابهة القياسية بين اللفظ في أصل الوضع والمعنى الجديد للمصطلح"[27].

مثال:

---

[24] ص ٨٨، بتصرّف يسير.

[25] ص ٩٢.

[26] ص ٩٣.

[27] ص ٩٣.

"**مصطلح التأثيل:** أصله في اللغة أن يجعل للشيء أصلاً ثابتاً يبنى عليه، و"الأثل شجر مستقيم، باسق، طويل العمر، جيد الخشب"، والكلام أشبه بالشجرة، قال تعالى: "ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء"، فالتأثيل يفيد الاستقامة والعلو والدوام، كما يفيد معنى الثبات، ولذلك استعار طه عبد الرحمن هذا اللفظ ليقصد به "تزويد الجانب الاصطلاحي منه [أي من المفهوم] بالمضمرات التي تربطه بالمجال التداولي لواضعه أو مستثمره"، فالتأثيل، إذن، بالنسبة للمصطلحات كالجذور بالنسبة للشجرة"[28]. وهذه الآلية تخضع لها جل مصطلحات طه عبد الرحمن، "**فهي بمثابة الأم بالنسبة لبقية الآليات الدلالية الأخرى**".

ج. التفريق:

وهي آلية أشار إليها د. محمد المصطفى عزام، والمقصود منها: "تمييز الأستاذ طه بين المصطلحات المشتركة في مادة لغوية واحدة، وتخصيص كل لفظ بمدلوله الاصطلاحي، ثم الحرص على ذلك التمييز في النسبة إليه"."[29].

مثل: **التقريب والمقاربة:** التقريب إرادة تصدر عن الأقوى، وعن يقين المجال التداولي ومطالبة للمطابقة، في حين أن المقاربة تصدر من الأضعف نحو الأقوى، فهي مغالبة، لغرض الدنو من الأقوى.

ح. الإبدال: تختص أكثر بالمصطلحات المنقولة، لدفع العناصر المنقولة المصادمة للمجال التداولي. مثل: استبدال "اللذات الحيوانية" بـ "اللذات المحرمة".

خ. الإضافة: غرضها تكميل المنقول ليتوافق مع المجال التداولي الأصلي، زيادة للسمات الدلالية المقترنة بالمصطلح. مثل: "الظلم" في الاصطلاح الأفلاطوني:

---

[28] ص ٩٣-٩٤.

[29] ص ٩٦.

خروج عن التوازن والتكامل بالفضائل الثلاث: العفة، الشجاعة، الحكمة. يضاف إليها في المجال التداولي: ظلم النفس، وأعلى مراتبه الشرك بالله.

د. الحذف: حذف السمات الدلالية المصادمة أو المضعفة للمجال التداولي من المصطلح المنقول، مثل: رد "الشجاعة" إلى "الجهاد".

ذ. القلب: "تغيير أوضاع العناصر في المصطلح المنقول تقديماً أو تأخيراً حتى يناسب أساساً مقتضيات الأصلين: اللغوي والمعرفي"، لتقويم عبارة النصوص المنقولة المخالفة للنسق العربي. نحو: جعل ظلم النفس هو الأصل، وظلم غيرك هو الفرع.

ر. التصنيف: "استنتجها محمد المصطفى عزام من خلال ممارسة طه عبد الرحمن الاصطلاحية" للدلالة على المجمعات الاصطلاحية الجامعة بين مصطلحين فأكثر، وترتبط كل مجموعة بعلاقات دلالية ومنطقية وصوتية وصرفية.

مثل:

1. ما تماثل فيه الاشتقاق والصياغة وتشابهت الحروف، مثل: "الاستعمال والاستكمال"
2. ما تماثل فيه الاشتقاق وتخالفت فيه الصياغة والحروف، مثل: "التنوع والتفاعل والاستمرار".

ز. التوظيف: من اكتشاف محمد المصطفى عزام، وهي: "عملية الكتابة الفلسفية الخاصة بطه عبد الرحمن، وهي عملية تفجير الطاقات المصطلحية الكامنة في الاستعمال المستمد من المجال التداولي"[30]، وهي آلية تداولية بلاغية في آن.

مثل:

1. الطباق: المنقول والمأصول (جمعاً بين الضدين في الكلام- الطباق).

---

[30] ص ١٠٥.

2. المقابلة: وحدها "ترتيب الكلام على ما يجب؛ فيعطى أول الكلام ما يليق به أولاً، وآخره ما يليق به آخراً، ويؤتى في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه"، منها: "البراهين اليقينية المضيّقة والأدلة الظنية الموسّعة".

الخاتمة: وفيها خلاصات عامة

بيّن أن قوة الممارسة الاصطلاحية عند طه عبد الرحمن "تكمن في وعيه التام بخصائص هذه الممارسة" التي وهبه الله التمكّن منها. وبيّن الخلاصة من فصول الدراسة، وفيها صنعة علمية هي الموازاة بين كل فصل والنتيجة التي خلص إليها:

1. **فالنتيجة الأولى:** إنَّ أهم سبب جمود المصطلح العربي الطويل عند طه عبد الرحمن، هو "تجاهل المستوى التداولي"[31]. وسبيل الإبداع التغلغل في المجال التداولي، وهو التغلغل الظاهر في ممارسة طه عبد الرحمن. وهي **نتيجة بإزاء الفصل الأوّل**: مفهوم الإبداع الاصطلاحي عند طه عبد الرحمن، وتحته شقي التقليد والإبداع.
2. **النتيجة الثانية:** "التزام طه عبد الرحمن بالربط بين جانبي النظر والممارسة، مما حذاه إلى استنباط طرق اجتهادية جديدة تظهر ثمرة هذا التفاعل، وتحصن من مزالق الفصل والقطيعة"[32]. ومبنى هذا التعالق نبذ التفريق بين المعاني الذهنية والألفاظ الدالة عليها، وفصلها عن المجال التداولي تأثراً وتأثيراً، "فالمصطلحات لا تنغلق داخل اللغة وتسكنها، منجذبة إلى ذاتها فقط، ضمن أبنية مجردة، يخاطب بعضها البعض، فتنعدم جدلية الوضع والممارسة، وتصبح المصطلحات سلاسل من الدوال تحيل إلى بعضها، وتعجز عن تشكيل

---

[31] ص ١٠٧.

[32] ص ١٠٨.

منظومة تؤثر في مرجعها الذي تأسست أصلا وفق أبنيته"[33]، وهذه الخصوصية **نتيجة الفصل الثاني**: خصوصية النظر الاصطلاحي عند طه عبد الرحمن.

3. **النتيجة الثالثة**: الدعوى الحاكمة لممارسة طه عبد الرحمن الاصطلاحية هي: "لا سلامة ولا صحة لمصطلح موضوع ما لم تتحقق بالممارسة فائدته ونفعه في المخاطبين الذين يتوجه إليهم"[34]، وهي **نتيجة الفصل الثالث**: خصوصية الممارسة الاصطلاحية عند طه عبد الرحمن.

ثالثاً: القيمة العلمية للدراسة والتوصيات

في الدراسة تبيين للجهاز النظري الذي من خلاله نظر طه عبد الرحمن للمصطلحات، ثم عمد إلى نقدها عبر الآليات الدلالية أو التداولية، أو عمد لإنشائها بالأدوات الدلالية أو التداولية، وتوضيح لأهم معالم هذه الإشكالية الكبرى عند طه عبد الرحمن "المصطلح" بين دفع التقليد عنه وإحلال الإبداع من داخل المجال التداولي العربي، بعثاً للإنتاجية ودفعاً للجمود. فهي دراسة قمين بكل من أراد قراءة كتب طه عبد الرحمن عبر مستوى الوضع الاصطلاحي المستصحب للجانبين الدلالي والتداولي؛ أن يتتبع ما فيها، ويستصحبه أثناء القراءة، فهي كاشفة للجزء المضمر من طريقة تفكير طه، ومنوّرة ومبصّرة للقارئ حتى يتبيّن القيمة العلمية والمعرفية لكل مصطلح من مصطلحات طه، مهما بدأ المستوى الظاهر خفي الدلالة، أو أحاديها.

هذه الدراسة الرائدة في مجال الكشف عن القوة الدلالية والتداولية للمصطلحات التي وضعها طه عبد الرحمن، أو التي كشف عن مكامن ضعفها أو قوتها؛ ستعيد نضد كثير من المفاهيم لدى قارئ المشروع العلمي لـ أ.د. طه عبد الرحمن، ببصيرة أكبر. لذا نوصي بالتالي:

---

[33] ص ١٠٨-١٠٩.

[34] ص ١٠٩.

- أن يكون الكتاب ممهداً لدراسة كتب طه عبد الرحمن، لاستحضار آلية تفكير طه عبد الرحمن في المصطلحات ودلالتها وكيفية إعمالها وتواشجها مع الأصول المعرفية للمجال التداولي. فهو من كتب الأدلة لقراءة مشروع طه عبد الرحمن، إذ ينبّه القارئ للقيمة العلمية الدقيقة لمصطلحات طه عبد الرحمن، والتي قد يعتبرها من لم يتمرّس بالممارسة العلمية الأكاديمية والاصطلاحية؛ من العيوب، في حين هي من أهم المزايا عند طه عبد الرحمن.
- إضعاف بعض الدعوات التي تسعى لوضع كتاب خاص بمصطلحات طه عبد الرحمن المجموعة من كتبه؛ إذ هي دعوى تغفل الجانب الإجرائي للمصطلح الخاص بكل كتاب ومعالجة من كتب طه عبد الرحمن، فالمصطلح داخل في مبدأ "الانتساق"، وإخراجه من نسقه وعزله عن المفاهيم والمصطلحات في سياقه سيؤدي إلى التشويش لا التوضيح، والإحصاء دون الفقه.
- الاستفادة من تقسيم المؤلف وطرق استخراجه للآليات وتتبع المصطلحات تحليلاً لكتابات طه عبد الرحمن على المستويين: الدلالي والتداولي، في كتابة دراسات أخرى عن المفاهيم المؤثرة في كتابات طه عبد الرحمن، وتوسيع ما يلزم توسيعه من أدوات وآليات وطرق بحثية كانت لدى المؤلف، ويتطلب الإنتاج الحديث لطه عبد الرحمن تطويرها، فمن خلال هذه المنهجية سيقرّب مشروع طه عبد الرحمن أكثر للباحثين، وستحلّ كثير من العقد التي قد تحجب الباحث عن كثير من المصطلحات والمعاني المنثورة في كتب طه عبد الرحمن.
- إعادة نشر الدراسة، وضمها مع دراسة محمد المصطفى عزام، في كتاب يصل لجل القراء خارج دولة المغرب الحبيبة.